

خمسون أصلًا

في تربية النفس على الإنصاف عند الخلاف

تأليف

فضيلة الشيخ : حذيفة بن حسين القحطاني

غفر الله لهُ ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أمر بالعدل، ونهى عن الهوى، وأثنى على من قال بالحق في حال الرضا والغضب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحكم وإليه المرجع والمآب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث لإقامة القسط بين العباد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم التناد.

أما بعد:

فإنّ الإنصاف عند الاختلاف من أعظم أخلاق أهل العلم والإيمان، وميزان دقيق يُعرف به صدق المرء وإخلاصه، وهو خلق قلّ من يتحلى به، وعزّ من يتمسك بأهدابه عند احتدام النزاع وتضارب الأقوال.

وفي زمنٍ طغت فيه الأهواء الشخصية والمجاملات الحزبية والتعصّب للمذهب أو الذات، أصبح من الضروري إحياء أصول الإنصاف، وتربية النفوس على العدل في القول والعمل، لا سيما في مواضع الخلاف التي يظهر فيها صدق الإتباع أو ميل الابتداع.

ومن هذا المنطلق، جاء هذا الكتاب ضمن مشروعنا العلمي الموسّع (موسوعة جواهر الخمسين في سائر الميادين)، ليسهم في بناء وعي إنصافي شرعي، ويقدّم للقراء والمربين والدعاة والطلاب خمسين أصلًا محكمًا، مستقًى من نصوص الوحي وأقوال الأئمة وسير السلف، لتكون لبنات في بناء النفس العادلة، وتربية القلب على التوازن بين الشدة والرحمة، والحزم والعدل.




وليس المقصود من هذا الكتاب مجرد التنظير، بل ترسيخ قيم عملية ومواقف تربوية تجعل الإنصاف عادةً لا انفعالًا، ومنهجًا لا استثناءً، ومبدأً لا مجاملة.

سائلين الله عز وجل أن يُصلح القلوب، ويهدي النفوس، ويجعلنا من عباده المتقين الذين {إِذَا قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، لا ممن {اتَّخَذُوا أَهْوَاءَهُمْ آلِهَةً}، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، موافقًا للحق، نافعًا للخلق.

والله ولي التوفيق، عليه نتوكل، وإليه ننيب.

أهداف الكتاب:

١. **ترسيخ خلق الإنصاف** كأصل شرعي وأخلاقي في عقل المسلم وسلوكه، لا سيما في مواضع الخلاف والنزاع.

٢. **تحذير النفس من آفات الهوى والتعصّب**، وبيان أثرها في طمس البصيرة وفساد القول والحكم.

٣. **إحياء مسلك السلف الصالح في العدل والإنصاف**، عند اختلافهم في المسائل العلمية والاجتهادية.

٤. **تربية القارئ على التفريق بين الإنكار على الخطأ والطعن في الأشخاص**، وتحقيق الموازنة الشرعية بين النصيحة والعدالة.

٥. **تأصيل القواعد والمبادئ الشرعية** التي تُعين على حسن التعامل مع المخالف من غير تفريط ولا غلو.

٦. **إعداد النفس لقبول الحق ممن جاء به**، ولو كان مخالفًا، أو من خصوم الرأي، تحقيقًا لقوله تعالى:

(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) الأنعام: ١٥٢

٧. **تقديم أصول عملية قابلة للتربية والتطبيق** في البيئة العلمية والدعوية والاجتماعية.

٨. **تقوية ملكة النقد المنصف**، والتعامل مع الأقوال بميزان الحجة لا الأشخاص، والتثبت لا التسرع.



٩. **المساهمة في تهذيب الخطاب العلمي والدعوي** في ظل الانقسامات الفكرية والانفعالات الحزبية.

١٠. **ربط القارئ بموسوعة (جواهر الخمسين) كجزء متكامل في بناء الشخصية المسلمة في سائر الميادين.**



مميزات الكتاب:

١. **الطرح الأصولي المنهجي** :تمّ عرض الأصول الخمسين بأسلوب متسلسل، كل أصل يُبنى على ما قبله، في تسلسل تربوي وتعليمي يُرسّخ المعنى في النفس.

٢. **الاعتماد على النصوص الشرعية** :كل أصل مؤسّس على آية أو حديث أو أثر عن السلف، مما يجعله متين البنيان، راسخ الحجة.

٣. **التنوع بين التأصيل والتطبيق** :جمع الكتاب بين عرض الأصول المجردة، وذكر الشواهد الواقعية والسلوكية التي تُقرّب المعنى للقارئ.

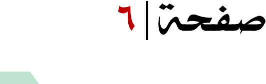
٤. **المعالجة التربوية للنفس** :لا يُخاطب الكتاب العقل المجرد فقط، بل يُعالج النفس ويُهذبها، ويُدرّبها على التخلّق بالعدل، ومجاهدة الهوى.

٥. **مراعاة الواقع المعاصر** :يجيب على الإشكالات المنتشرة في زمن الخلافات المحتدمة، وتنامي ظاهرة الإقصاء والافتراء والتشويش باسم الغيرة على الدين.

٦. **إبراز سيرة العلماء الربانيين** :تضمّن الكتاب نماذج من مواقف الأئمة في الإنصاف والعدل مع مخالفيهم، ليكونوا قدوةً حية.

٧. **وضوح الأسلوب وسهولة العبارة** :كُتب بلغة علمية واضحة، مناسبة للطالب والداعية والمربّي، تصلح للتدريس والإلقاء والتأمل الذاتي.

٨. **التوازن بين الجوانب الثلاثة** :جانب الإيمان (إصلاح القلب)، وجانب العلم (الضبط الشرعي)، وجانب السلوك (الأدب العملي).





٩. **معالجة الانحرافات السلوكية** باسم الرد والدفاع عن السنة، بتحكيم القواعد المنصفة دون مداهنة أو تهجم.

١٠. **الانتماء لموسوعة علمية متكاملة** :يُعد هذا الكتاب لبنةً في موسوعة جواهر الخمسين في سائر الميادين، مما يمنحه تكاملًا معرفيًا واتساقًا في البناء المنهجي العام.






خمسون أصلا في تربية النفس على الإنصاف عند الخلاف

تربية النفس على الإنصاف عند الخلاف من أعظم الفضائل التي حثَّ عليها الإسلام، فهي تُنمِّي الروح الأخلاقية وتُقوِّي أواصر الأخوة حتى في حالات الاختلاف. إليك خمسون أصلًا في ذلك، مقسَّمة على جوانب مختلفة:

أولًا: الأسس العقائدية والأخلاقية

١. التذكُّر الدائم بأن الإنصاف من صفات المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

٢. الاستعانة بالله في تزكية النفس، فالهداية بيده سبحانه.

٣. الإيمان بأن الحق غاية وليس الانتصار للنفس.

٤. محاسبة النفس قبل الخوض في الخلاف.

٥. التخلُّص من التعصُّب للأشخاص أو المذاهب.

ثانيًا: آداب الحوار والاختلاف

٦. الاستماع الجيد قبل الرد.

٧. التجرُّد من الهوى عند النقاش.

٨. البعد عن التجريح أو اتهام النوايا.

٩. الاعتراف بالخطأ إذا ظهر لك الحق.

١٠. عدم المقاطعة أثناء كلام الآخرين.



ثالثًا: فهم طبيعة الخلاف

١١. إدراك أن الاختلاف سنة كونية كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

١٢. التفريق بين الخلاف في الفروع والأصول.

١٣. احتمال الصواب في رأي المخالف.

١٤. عدم تضخيم الخلافات الفرعية.

١٥. التأكيد على نقاط الاتفاق قبل الاختلاف.

رابعًا: التعامل مع المخالف

١٦. العدل في وصف آراء الآخرين دون تشويه.

١٧. البعد عن السخرية أو الازدراء.

١٨. التزام الأدب حتى مع الجاهل.

١٩. الإنصاف في النقل عن المخالفين.

٢٠. عدم اتهامهم بالجهل أو سوء القصد دون دليل.

خامسًا: تطوير الذات

٢١. التدرُّب على قول: "الله أعلم" في المسائل الاجتهادية.

٢٢. الاعتراف بالجهل في بعض الأمور.

٢٣. طلب العلم بإنصاف من مختلف المصادر.

٢٤. التأسِّي بسيرة النبي ﷺ في التعامل مع المخالفين.

٢٥. التخلِّي عن العجلة في الحكم على الآخرين.

سادسًا: موازنات عملية

٢٦. العدل حتى مع من أساء إليك.

٢٧. عدم المبالغة في المدح أو الذم.

٢٨. وزن الكلام بميزان الشرع لا العاطفة.

٢٩. الابتعاد عن التحزُّب الأعمى.

٣٠. التثبُّت من المعلومات قبل نقلها.

سابعًا: أخطاء يجب تجنُّبها

٣١. الخلط بين الإنصاف والضعف.

٣٢. الاستهانة بآراء المخالفين.

٣٣. التسرُّع في اتهام النوايا.

٣٤. الانجراف وراء العاطفة في الجدال.

٣٥. التعامل بازدواجية في تطبيق الإنصاف.



ثامنًا: تطبيقات عملية

٣٦. كتابة الحجج بموضوعية عند الرد على المخالف.

٣٧. استخدام العبارات اللطيفة مثل: "أحسن الله إليك"، "ما تقول في كذا؟".

٣٨. العدول عن الخطأ إذا ظهر لك الدليل.

٣٩. عدم الخوف من انتقاد الذات أو التقصير.

٤٠. تشجيع الآخرين على الإنصاف.

تاسعًا: فوائد الإنصاف

٤١. يورث المحبة ويقلل الفرقة.

٤٢. يرفع مكانة الشخص بين الناس.

٤٣. يقوِّي الحجة ويُعلي الحق.

٤٤. يُكسِب المرء الوقار والاحترام.

٤٥. يُرضي الله ورسوله.

عاشرًا: ختامًا

٤٦. الدعاء بأن يهديك الله للحق.

٤٧. الصبر على مخالفة الآخرين لك.

٤٨. التأسِّي بأهل العلم المنصفين.





٤٩. تذكُّر الموت والوقوف بين يدي الله.

٥٠. تعاهد النفس بالتزكية الدائمة.

إن التربية على الإنصاف تحتاج إلى مجاهدة مستمرة، لكن ثمارها عظيمة في الدنيا والآخرة.

والله الموفق إلى سبيل الرشاد.

أولًا: في التعامل مع النفس

١. تطهير القلب من الحقد والحسد، فهما من أعظم العوائق أمام الإنصاف.

٢. التواضع في طلب الحق، وعدم الظن بأنك دائمًا على صواب.

٣. تعويد النفس على تقبُّل النقد دون حساسية مفرطة.

٤. الاعتراف بالفضل لأهله، حتى لو كانوا مخالفين لك.

٥. عدم الاستخفاف بآراء الآخرين لمجرد اختلافهم معك.

ثانيًا: في آداب النقاش والحوار

٦. البدء بالسلام والكلام الطيب قبل الخوض في الخلاف.

٧. استخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٨. عدم رفع الصوت أو التشنُّج أثناء الحوار.

٩. التركيز على الأفكار لا على الأشخاص.





١٠. عدم تحويل الحوار إلى جدال عقيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا» (أبو داود).

ثالثًا: في فهم الآخرين

١١. محاولة فهم سياق كلام المخالف قبل الحكم عليه.

١٢. التثبُّت من نقل كلام الآخرين، وعدم الاعتماد على الروايات المشوهة.

١٣. العدل في نسبة الأقوال، وعدم تحميل كلام المخالف ما لا يحتمل.

١٤. مراعاة اختلاف البيئات والظروف التي قد تؤثر في آراء الناس.

١٥. عدم تعميم الأخطاء، فكلُّ إنسان يُخطئ ويُصيب.

رابعًا: في التعامل مع الأخطاء

١٦. التدرج في تصحيح الخطأ، وعدم المواجهة بالعنف.

١٧. البحث عن التبريرات المحتملة لرأي المخالف قبل رفضه.

١٨. عدم استصغار أخطاء الخصم وتضخيم أخطاء الذات.

١٩. التمييز بين الخطأ في الاجتهاد والخطأ في التعمد.

٢٠. التعامل باللين مع المخطئ، ما لم يكن عنادًا أو عنتَادًا.





خامسًا: في التربية والقدوة

21. تعليم الأبناء والطلاب آداب الاختلاف منذ الصغر.

22. القدوة العملية في الإنصاف، لأن الأفعال أبلغ من الأقوال.

23. تشجيع ثقافة النقد البنَّاء في المحافل العلمية والاجتماعية.

24. عدم السكوت عن الظلم حتى لو كان صادرًا من أصحابك.

25. التأكيد على أن الإنصاف لا يعني التنازل عن الثوابت.

سادسًا: في مواقف عملية

26. العدل في الشهادة، حتى لو كانت ضد نفسك أو أقاربك.

27. عدم الانحياز في القضاء أو الفتوى لقرابة أو صداقة.

28. الاعتراف بفضل العلماء السابقين وإن اختلفتَ معهم.

29. عدم التسرع في التكفير أو التفسيق لمجرد الاختلاف.

30. التعاون في المشتركات مع المخالفين في غير معصية.

سابعًا: أخطاء شائعة يجب تجنبها

31. الخلط بين الإنصاف والضعف، فالأول فضيلة والثاني عيب.

32. الاستناد إلى الشائعات في الحكم على الآخرين.

33. التعامل بازدواجية (الإنصاف مع البعض والتعصب للبعض).






٣٤. الاستهانة باجتهادات المخالفين لمجرد أنها غير مألوفة.

٣٥. الاعتماد على العاطفة بدل الدليل في تقييم الآراء.

ثامنًا: في العلاقات الاجتماعية

٣٦. عدم قطع العلاقات بسبب الخلاف الفكري.

٣٧. التسامح مع الزلات، خاصة في الأمور الاجتهادية.

٣٨. عدم إشاعة العداوة بين الناس بسبب الاختلافات.

٣٩. التعايش مع المخالفين بسلام ما داموا ملتزمين بالأخلاق.

٤٠. التذكير بأن الاختلاف لا يفسد للود قضية.

تاسعًا: في التزكية والترقية الذاتية

٤١. محاسبة النفس يوميًا على مدى إنصافها.

٤٢. طلب التوجيه من أهل العلم والصلاح.

٤٣. قراءة سير المنصفين من العلماء والصالحين.

٤٤. التدرب على قول: "لا أدري" في المسائل المشتبهة.

٤٥. تعويد اللسان على الكلام العادل حتى يصير عادة.





عاشرًا: ختامًا وتذكير

٤٦. تذكُّر أن الإنصاف طريق إلى الجنة، كما قال النبي ﷺ: «إن المُقسِطين عند الله على منابر من نور» (مسلم).

٤٧. الصبر على أذى المخالفين، والثواب على ذلك عظيم.

٤٨. الدعاء للمخالفين بالهداية، لا بالانتقام.

٤٩. الاستعانة بالصبر والصلاة لتحقيق الإنصاف.

٥٠. تذكُّر أن الله يراك، فليكن رضاه هو الغاية.

"اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه."



الخاتمة:

وبعدُ، فقد اكتمل هذا الجهد المتواضع في بيان خمسين أصلًا من الأصول المحكمة التي تعين النفس المؤمنة على التخلّق بالإنصاف عند الخلاف، والعدل في مواطن النزاع، وتجاوز آفات التعصّب والهوى والانتصار للذات.

ولقد سعينا في هذا الكتاب إلى تربية القلب قبل اللسان، وتزكية القصد قبل الحُجة، وترسيخ قيمة "العدل لله" لا "الرد للانتصار"، ليكون هذا السفر لبنةً في بناء جيلٍ يُنصف من خالفه، كما يُنصف من وافقه، ويزن الأقوال بميزان الشرع لا ميزان الشعور والانفعال.

وليس المقصود إلغاء الخلاف، فذلك من طبيعة البشر، وإنما المقصود **ترشيدُهُ وتهذيبه وضبطه بضوابط العلم والدين**، حتى يكون رحمة لا نقمة، وسبيلًا للفهم لا سببًا للفرقة.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، سببًا في إصلاح القلوب المتنافرة، وتهذيب النفوس المتشنجة، وأن يجعلنا من أهل العدل والإنصاف، الذين قال فيهم سبحانه:

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ المائدة: ٤٢

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



